تقرير أطروحة في موضوع:
"إشكالية العقل عند طه عبد الرحمن"

Thesis report:
“The Problematic of Reason in Taha Abderrahmane’s Thought”

By **Ahmed El farrek** /[1] إعداد **الباحث أحمد الفراك**

نوقشت بشعبة الفلسفة في رحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة عبد المالك السعدي بتطوان يوم 26 فبراير 2022 أطروحة دكتوراه أعدها الباحث: **أحمد الفراك** في موضوع: "**إشكالية العقل عند طه عبد الرحمن**". وتكونت لجنة المناقشة من السادة الدكاترة: **مصطفى حنفي / إبراهيم مشروح / محمد أيت حمو / أحمد بوعود**، وفي نهاية مداولاتها منحت الباحث درجة الدكتوراه بميزة: مشرف جدا.

وفيما يلي تقرير المناقشة:

الحمد لله على فضله وإحسانه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد.

لا يفوتني ابتداء الشكر والامتنان للجنة الفحص والمناقشة التي جمعت هذه الكوكبة العلمية من خيرة أساتذة وخريجي شُعب الفلسفة في الجامعة المغربية (تطوان والرباط وفاس)، كما لا يفوتني الاعتراف بفضل من تشرفتُ بتأطيرهما لهذا البحث والإشراف على إنجازه، فضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى حنفي، وفضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى الغاشي. ومنهما إلى جميع أساتذة وأطر وطلبة هذه الكلية العتيدة. ولا أنسى بالمناسبة الشكر والدعاء لأستاذي طه عبد الرحمن بالشفاء والبركة في العمر. حفظ الله الجميع.

(1) باحث بجامعة عبد المالك السعدي - تطوان - المغرب.

لا شك أن إشكالية العقل، إشكالية مركبة وواسعة، تلتقي فيها أسئلة ذات أبعاد وجودية ومعرفية وفلسفية وأخلاقية، وتلامس قضايا ومشكلات تتصل بالثقافة والدين والتاريخ والتراث والحداثة وعلم النفس وعلم الاجتماع، فموضوع العقل حاضرٌ في كل سؤال علمي أو فلسفي، بل في كل معرفة بشرية. واستشكال مفهوم العقل يصب مباشرة في إثارة أزمات في الفكر هنا وهناك. فهو شديد الاتصال بأسئلة الدين والعلم والفلسفة والإديولوجيا والسياسة والأخلاق، وبمناهج إنتاج المعارف قديما وحديثا؛ البرهان والجدل والخطابة والسفسطة والحس والخيال والملاحظة والتجريب والتأمل والتأويل...

وتبدأ إشكالات العقل من مفهوم العقل نفسه، إذ اختلف أهل النَّظر والتناظر قديما وحديثا في حدِّه، فضلا عن اختلاف دلالاته باختلاف المدارس الفلسفية والمذاهب الفكرية، بل يحصل الاختلاف داخل المدرسة الواحدة والمذهب الواحد، فمن قائل بمفهوم العقل الجوهر في ذاته، إلى قائل بالعقل العرَض، ومن قائل بالعقل بوصفه قوة إدراكية مهيأة لقبول المعارف، إلى قائل بالعقل باعتباره تعقلا للمعقولات، ومن قائل بالعقل الغريزة الفطرية المشتركة، إلى قائل بالضرورة العقلية الرابطة بين الظواهر وبين الأفكار، وممن يطلقه على العلوم المستفادة من التجربة إلى من يربطه بمآلات المعرفة العملية والأخلاقية، فمن قائل بثباته ولاتاريخيته، إلى قائل بتغيره وتطوره. ولهذا لا أعد بتقديم بحث جينيالوجي تفصيلي للمفهوم.

ومعلوم أن نواة الإبداع في التفكير الفلسفي هي إنشاء المفاهيم التي تحمل أفكار النسق الفلسفي وترتب إشكالاته، وتشرح مضامينه المعرفية، إذ لكل نسق تأليفه المفهومي المنسجم مع مبادئه المؤسسة ومقاصده المستشرفة، ولا يفيد ذلك انفراد كل فيلسوف بجهازه المفهومي الذي لا يشاركه فيه سواه، وإنما يفيد تميز الفيلسوف عن غيره بقدرته على مراجعة دلالات المفاهيم وإعادة بنائها لغويا واستعمالها معرفيا، أي تجديد هوية المفهوم، مع ما يقتضيه ذلك من دفع للاعتراضات القائمة والممكنة عن دلالاته نظريا ومضمونيا، ونقد التصورات التي تستند إليها وتدعي كونية معانيها.

وقد برزت في الساحة الفكرية المغربية خلال القرن العشرين، «أسماء فرضت نفسها لا في تاريخ الفكر العربي الإسلامي فحسب، بل وفي تاريخ الفكر الإنساني بصفة عامة، حيث أصبحت هذه الأسماء تمثّل مراحل من تاريخ الفكر الفلسفي على الصعيد الإنساني، فكانت تركيبًا شخصيًّا لما سبقها ومصدرًا لتأثيرات متنوعة في اللاحق عليها»، وجعلت للمغاربة فلسفتهم التي يضاهون بها تفلسف غيرهم من الأمم، يقول ديكارت: «حضارة الأمة وثقافتها إنما تقاس

بمقدار شيوع التفلسف فيها، ولذلك فإن أجل نعمة ينعم الله به على بلد من البلاد هو أن يمنحه فلاسفة حقيقيين»، ولا شك أن من أشهر هؤلاء يبرز المفكر المغربي طه عبد الرحمن.

لكل فلسفة رهاناتها، ورهان فلسفة طه عبد الرحمن النقدية هو فتح آفاق الإبداع الفلسفي في الثقافة الإسلامية العربية، بوصفها ثقافة تحتفظ لنفسها بإمكانات الإبداع الخاص بها. إن طرح سؤال الإبداع في الفكر الفلسفي العربي المعاصر جاء استئنافا لسؤال النهضة وما رافقه من شعارات التقدم والتحرر والتنوير والصحوة وغيرها في كتابات وخطابات كثير من المفكرين والمثقفين والمتفلسفة العرب، ابتداء من نهاية القرن التاسع عشر. إلا أن هذه الشعارات بالإضافة إلى أنها لم تُنشئ واقعا نهضويا بديلا لواقع التبعية والتقليد الذي لا تزال تعيشه الأمة الإسلامية العربية في مجموعها إلى اليوم، فإنها لم تؤصل مفاهيمها بما يوفرلها السند النظري القوي الذي يقنع العقل الإسلامي العربي بإمكان بناء عمران حضاري مستقل عن نموذج الحضارة الغربية الغالبة اليوم.

وإسهاما منه في إحياء السّجال الفلسفي في الوطن العربي والعالم، جعل طه عبد الرحمن، منذ كتابه الأول في «العمل الديني وتجديد العقل» وإلى كتابه الأخير «المفاهيم الأخلاقية بين الائتمانية والعلمانية»، صلب اشتغاله الفلسفي على مستوى المفاهيم هو تحرير المفهوم من الاستعمالات التاريخية التي ضيقت دلالاته أو حرفتها، وصناعة مفاهيم جديدة تستند إلى الإمكانات التي يوفرها المجال التداولي الذي ينتمي إليه، وتتشكل من خلاله هويته النفسية والثقافية والاجتماعية، أي عقله المجتمعي، مع الاجتهاد في نقد وتقويم الدلالات المستعملة لأشهر المفاهيم في الكتابات الفلسفية المعاصرة، وخاصة تلك التي تحمل دلالات ومعاني تصطدم مع نظام القيم في الثقافة الإسلامية العربية.

ولا يخفى أن ما يتميز به المشروع الفكري والفلسفي لطه عبد الرحمن، من بين ما يتميز به، اشتغاله في واجهتين؛ واجهة التراث الإسلامي العربي وامتدادات مدارسه ومذاهبه في الحاضر، ومناهج دراسته وتقويمه، وواجهة التراث الغربي وامتداداته المختلفة داخل الثقافة الغربية المعاصرة وخارجها. وبالإضافة إلى أن تموضعه في قلب الثقافة الإسلامية العربية لم يمنعه من الانخراط الجاد في صلب اهتمامات الفلاسفة المعاصرين ومن الحضور النقدي في قلب الإشكالات الفلسفية المعاصرة، بل والاشتباك السّجالي مع أشهر الفلاسفة والأخلاقيين في قضايا فلسفية وعلمية وأخلاقية مهمة، وبشكل يُظهر استخدامه لنفس الآليات والمناهج والطرائق التي يستخدمها كبار الفلاسفة في إنتاج معارفهم الفلسفية.

والمطلع على كتابات طه عبد الرحمن ومحاضراته وحواراته سرعان ما يكتشف أن صلب اشتغاله الفلسفي هو إشكالات العقل والعقلانية، وما يتصل بها من أسئلة وقضايا فلسفية تتعلق بالمفاهيم وبمناهج قراءة التراث والحداثة والأخلاق والسياسة والدين والعنف والمواطنة والمشترك الإنساني، وغيرها، حيث يعد مفهوم العقل من أشهر المفاهيم التي حضرت بقوة في هذا المشروع، والذي تبوأ مكانة خاصة في فلسفته أكثر من أربعين سنة، مما رشحه ليكون مدخلا إلى مختلف الأجوبة والمواقف التي عبر عنها من جميع القضايا الفلسفية والفكرية والتربوية والسياسية، التي خاض في إشكالاتها. ويشهد لذلك حضور مفهوم العقل وإشكالاته في جميع كتبه، حيث لم يخصص للعقل كتابا واحدا كما هو الشأن لباقي الموضوعات التي خصها بكتب، مثل الأخلاق والحداثة والحوار والتراث والعنف والدين والعلمانية، وإنما جعله مبثوثا في موضوعات كثيرة، يستصحبه حيثما حلَّ في معالجة قضية أو اقتراح حٍّل أو اتخاذ موقف.

حاول طه عبد الرحمن تتبع ومراجعة مفهوم العقل في التاريخ من خلال تجديد النظر في دلالاته داخل مجالين ثقافيين متباينين: مجال الثقافة الإسلامية العربية، ومجال الثقافة الغربية، ومن ثمة فحص فكرة العقلانية في مصادرها الغربية، وتوابعها داخل الخطاب الإسلامي العربي المعاصر. مسجلا قصور العقلانية العربية عن إنشاء تعريف واضح لمفهوم العقل، وتخبُّط متفلسفتها في استعماله بدلالات ملتبسة ومتعددة بل ومتناقضة أحيانا، وتلقف أغلبهم تقريرات أرسطو في الفلسفة اليونانية القديمة، وبعضهم مثيلاتها عند ديكارت في الفلسفة الحديثة قبل مراجعتها في الفلسفة المعاصرة. وهذا الواقع هو الذي حفز طه على نقد مضمونها فلسفيا وأخلاقيا في أغلب مؤلفاته.

ولم يجد طه مفرا من مواجهة الفلسفة الأرسطية في سيطرتها على التراث الفلسفي برمته، والفلسفة الديكارتية بسطوتها على الفكر الغربي المعاصر في مجمله. كما لم يجد بدا من السجال مع فلاسفة ومفكرين من الوطن العربي ومن العالم، يختلفون معه في المرجعية المؤسسة أو في الرؤية المعرفية أو في الاختيار المنهجي، وسنذكر ذلك في موضعه داخل البحث، ولعل من أشهر المُجايلين له والذين جعلهم نصب عينيه وهو يوجه سهامه النقدية نذكر عَلَمين بارزين من أعلام الفكر المغربي المعاصر وهما محمد عابد الجابري وعبد الله العروي، حيث اشترك معهما الهموم والإشكالات والوطن، غير أنه افترق عنهما في بعض أجوبته واختياراته عن أسئلة العصر الذي نعيش فيه.

ولما كانت الفلسفة صناعة مفهومية بالأساس كما يؤكد جيل دولوز في كتابه «ماهي الفلسفة؟»، فإن المؤاخذة الكبرى والعامة التي أخذها طه على الفكر الفلسفي العربي القديم والمعاصر هي الوقوع في آفة التقليد؛ أي تقليد الفكر الفلسفي الغربي في مفاهيمه، بل وفي إشكالاته وأجوبته ومواقف فلاسفته من مختلف القضايا الإلهية والإنسانية والطبيعية، ولم يستقل هؤلاء المتفلسفة بتأثيل مفاهيمهم من منظورهم التداولي في تداخله وتكامله، ولم يعبروا عن عمق تجاربهم الخاصة في التفلسف. كما يرى طه على غرار موقف سامي النشار أن هؤلاء المتفلسفة العرب وقعوا في التبعية مُبكرا، في الآليات قبل وقوعهم في التبعية في المضامين، ظنا منهم أن الفلسفة الغربية (اليونانية والحديثة) تشكل نموذجا لكل تفلسف ممكن، فانقلب عليهم هذا الموقف ضررا على مواقفهم الفكرية وطعنا في هويتهم الحضارية.

يلاحظ في فلسفة طه عبد الرحمن عموما أنها فلسفة دينية أخلاقية، وهذه مزية كبيرة لأن «عظماء الناس عادة هم المشتغلون في حقل الدين والأخلاق» كما يقول برتراند راسل، حيث يهيمن الأساس الديني والبعد الأخلاقي في كليات مشروعه الفلسفي وجزئياته، مما يفيد بأنه لا يستدعي الدِّين فقط للاستشهاد به في مواطن الحاجة إليه من أجل دعم نظريته، وإنما ينطلق منه ويحلل به ويؤسس عليه، معتبرا أنه لا ينفصل عن العقلنة ولا يتناقض معها، بل هو متصل بها ابتداء واستئنافا على غرار ما يؤكده ألفريد نورث وايتهيد (ت1947م)[1]، أي إن اشتغال طه بالتفلسف لا ينفصل عن اشتغاله بالتديُّن والتخلُّق، وإنما هو عمل واحد متحد، ومن هنا ينال تميزه عن الذين يتحدثون عن طريقين، وعن حقيقتين؛ طريق الإيمان وحقيقته الدين، وطريق العقل وحقيقته الفلسفة. لاختياره طريق الإيمان والعقل معا، الموصل إلى الحقيقة الروحية والعقلية التي لا تقبل الانفصال.

من هنا يأتي هذا العمل للنظر في إشكالية العقل كما تناولها طه عبد الرحمن، وكما دافع عن اختياراته بموجبها، وإبراز وجوه اعتراضه على المواقف الفلسفية المخالفة قديما وحديثا، دون الاكتفاء بعرض تصوره كما تفعل الكثير من الكتابات، إذ سنحاول أن نتتبع مصادر معرفته وجذور فكرته، وطبيعة استدلالاته، لنعرف أين واصل القول وأين جدَّده؟ ومتى أبدع فكرة ومتى اكتشفها ومتى استثمر إمكانات تراثية موروثة؟ وسوف لا نطيل الكلام في مجملات المشروع بقدر ما سنحرص على الالتزام بمحاولة الجواب عن الأسئلة الكبرى التي تؤطر إشكالية هذا البحث، وهي إشكالية العقل.

(1) هوايتهد، ألفرد نورث. كيف يتكون الدين؟ مرجع سابق، ص 28-30.

دواعي اختيار الموضوع:

وقع الاختيار على هذا الموضوع لدواعي معرفية أولا، لأن مفهوم العقل في نظري، ومن خلال اطلاعي على مؤلفات طه عبد الرحمن يكاد يلخص فلسفته برمتها، فكلّما بحثنا في قضية من القضايا أو مسألة من المسائل أو إشكالية من الإشكاليات التي عالجتها مؤلفاته إلا ووجدنا سؤال العقل حاضرا، بل مدخلا إلى جميع موضوعات تفلسفه. فأثارني حضور العقل بهذا الشكل مما حفزني لأقترحه موضوعا لهذه الأطروحة.

بالإضافة إلى أن كتب طه عبد الرحمن تشكل ملتقى للأفكار والمعارف، ومنبعا للمشاريع والإشكاليات، فالقارئ لمكتوباته يجده جامعا لمجامع المعرفة وشُعبها، متتبعا لأسئلة الماضي والحاضر، مشاركا في الجواب عن أسئلة زمانه وخائضا لمعارك الفكر والنقد مع أقرانه، ومتهمّماً بآفاق أُمته الإسلامية وأُمته الإنسانية في المستقبل، ناهيك عن الاستفادة والنهل من جميل لغته وصرامة استدلاله.

ثم لدواعي شخصية؛ فقد تشرفتُ بالتلمذة على يد الأستاذ طه عبد الرحمن في سنوات الإجازة والدراسات العليا، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة محمد الخامس بالرباط، وتابعتُ إنتاجه العلمي والفكري والفلسفي، منذ ذلك الحين، وشاركتُ في أغلب المؤتمرات العلمية التي تناولت فكره، وتتبعت محاضراته في المغرب وخارجه، وجمعت ما استطعت من كتبه ومقالاته ومحاضراته، بالإضافة إلى التواصل المستمر معه، كلما استشكل علي أمر أو عنَّت لي ملاحظة في كتبه. وأعتبر أنه إذا كانت «كل فلسفة عظيمة تلخص تجربة أساسية للإنسانية من خلال الأفكار»[1] كما يقول لوك فيري، فإنني أزعم أنه صاحب فلسفة عظيمة.

الدراسات السابقة:

كثيرة هي البحوث التي أنجزت فيها قراءات في مؤلفات طه عبد الرحمن، سواء كانت كتبا منشورة، أو أطاريح جامعية، أو مقالات علمية، أو تقارير صحفية، أو محاضرات وندوات وحوارات ومؤتمرات، وكلها اجتهادات تلامس التراث الفكري والعلمي والفلسفي لطه عبد الرحمن، وتركز على أحد جوانبه. غير أن محدوديتها تكمن في صلتها بالإشكال المطروح، فهي إما تناول المشروع في عمومه، أو تقتصر على قضية من القضايا الفكرية المشتهرة مثل التراث

(1) فيري، لوك. تعلّم الحياة، ترجمة سعيد الولي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط 1، 2011م، ص392.

أو الحداثة أو الأخلاق أو غيرها، دون إفراد إشكالية العقل بأطروحة أو كتاب، اللهم إن كان تناولا جزئيا يُتضمن في فقرات صغيرة في مقالات أو في كُتب تتناول إشكالات أخرى.

وقد كنت أتابع أعمال طه عبد الرحمن منذ 1994م، وأنا طالب آنذاك في شعبة الفلسفة بكلية الآدب والعلوم الإنسانية بالرباط، فضلا عن تدريسه لنا سنوات الإجازة والدراسات العليا، وإشرافه على بحثي في الماجستير، وأتابع ما نشر عنه. غير أنني أحبذ الاقتصار على نماذج من الدراسات السابقة لقيمتها أولا، ولعدم إثقال البحث بذكر جميع ما كُتب عنه أو لامس الموضوع في إحدى جزئياته. وجميع هذه الأبحاث والدراسات وغيرها[1] تفيدُ كثيرا في تقريب مضامين فكر طه عبد الرحمن ومراجعتها، غير أن الحاجة قائمة إلى إنجاز بحوث ودراسات أخرى تضع هذا الفكر في سياقه التراثي والمعرفي، القومي والكوني، وتجمع عناصره في تركيب جامع تُشد فيه الجزئيات إلى الكليات، وتُربط المضامين بالآليات، ومن البحوث التي تحتاج إلى عناية خاصة ما يتعلق بإشكالية العقل والعقلانية في متن طه عبد الرحمن، من حيث الاستشكال والاستدلال، في المفهوم والنظرية والتطبيقات.

فرضية البحث:

يحاول الباحث أن يتحقق من فرضية مفادها أن طه عبد الرحمن أبدع جهازا مفهوميا اقتدربه على إنتاج خطاب فلسفي مستقل، في إطار ما يسميه بـ«معركة الاصطلاح الفلسفي»، فاستقل بتصور جديد لمفهوم العقل عالج من خلاله الإشكالات التقليدية والمعاصرة، وأعاد في مشروعه الفلسفي معالجة أسئلة العقل والإشكالات المرتبطة بها في تاريخ الفلسفة، ووجَّه من إزائها جملة من الانتقادات إلى فلسفات حديثة ومعاصرة مغايرة تقتسم معه الموضوع أو أحد عناصر الإجابة عن أسئلته.

وهذه الدعوى الإبداعية الممكنة هي ما سنسعى إلى تتبعها والتحقق من حضورها في متن فلسفة طه، مستحضرين محطات من تاريخ فلسفة العقل الطويل وما استشكله من قضايا فلسفية وأخلاقية.

(1) كنت أتابع أعمال طه عبد الرحمن منذ 1994م، وأنا طالب آنذاك في شعبة الفلسفة بكلية الآدب والعلوم الإنسانية بالرباط، فضلا عن تدريسه لنا سنوات الإجازة والدراسات العليا، وإشرافه على بحثي في الماجستير، وأتابع ما نشر عنه؛ غير أنني أحبذ الاقتصار على نماذج من الدراسات السابقة لقيمتها أولا، ولعدم إثقال البحث بذكر جميع ما كُتب عنه أو لامس الموضوع في إحدى جزئياته.

إشكالية البحث:

تتركب إشكالية هذا البحث من جملة أسئلة، أهمها: ما مفهوم العقل في فلسفة طه عبد الرحمن؟ هل لهذا المفهوم نفس الدلالات اللغوية والفلسفية التي استُخدم بها في تاريخ الفكر الفلسفي عموما، وداخل الثقافة الإسلامية على وجه الخصوص؟ وإذا ورث الفكر الفلسفي المعاصر مفهوم العقل عن الثقافة اليونانية ثم عن الثقافة الأوربية الحديثة، فهل وافق ذلك مقتضيات المنظور الإسلامي العربي اللغوية والاعتقادية والمعرفية؟ وما موقع العقل ومراتبه عند طه إزاء الموضوعات التي أثيرت بقوة في الفلسفتين الحديثة والمعاصرة؟ هل يمتلك العقل القدرة على النظر إلى الأشياء في ذاتها أم أنه مرتبط بمنظورات لسانية وفكرية توجهه وتحدد رؤيته؟ وبم تتميز فلسفة طه عبد الرحمن التي سماها «فلسفة تداولية» ثم «نظرية ائتمانية» عن غيرها من الأطروحات التقليدية والمعاصرة التي استشكلت المفهوم؟

صعوبات البحث:

لم يتعذر علينا الحصول على أغلب مصادر هذا البحث ومراجعه؛ الورقية والرقمية، وإن كانت كثيرة ومتنوعة، وإنما وجدنا صعوبة في تشعُّب المرجعيات الفكرية والفلسفية التي ينهل منها طه عبد الرحمن، سواء منها المرجعيات الإسلامية القديمة والحديثة، أو المرجعيات الغربية بلغاتها الأصلية أو عبر ترجمتها إلى العربية، مما كلفنا الرجوع إلى تلك المصادر والمراجع في مضانها ما وسعنا الجهد، والاستعانة بالترجمات العربية المتاحة، دون أن ندَّعي الإحاطة بجميعها، كما لا أخفي صعوبة أخرى تتمثل في إمعان هذا المفكر في صناعة واستعمال جهاز مفاهيمي يحرص من خلاله على أن يكون مختلفا عن غيره.

منهج البحث:

وبخصوص المنهج المتبع في إنجاز هذا البحث، فقد اخترت منهجا تحليليا مقارنا أحاول من خلاله تتبع الأفكار وتوضيح مضامينها وإرجاعها إلى أصولها المعرفية، بالإضافة إلى مقارنتها عند الحاجة بأشباهها ونظائرها. وهذا ما سنحاول الالتزام به وتركيز النظر فيه في هذا البحث، ونقترح أن تكون خطته على الشكل الآتي:

خطة البحث:

بعد تردد وحيرة في إنجاز تصميم ينسجم مع إشكالية البحث ويجيب عن أسئلتها، ارتأيت أن أقسمه إلى بابين، يضم كل باب ثلاثة فصول، بما مجموعه ستة فصول (مُرقمة من 1 إلى 6)، وينقسم كل فصل إلى مبحثين، بما مجموعه اثنا عشر مبحثا، وكل مبحث إلى مطلبين،

بما مجموعه أربعة وعشرين مطلبا، بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة. وتجدر الإشارة إلى أنني اكتفيتُ في تعريف الأعلام بذكر تاريخ الوفاة فقط، لسببين؛ أولا: لاشتهار الأعلام الواردين في البحث عند أهل التخصص، وثانيا: ليُسر الوصول إلى المعاجم والموسوعات إلكترونيا.

خصَّصتُ الفصول الثلاثة الأولى التي تشكل الباب الأول من هذا البحث لمفهوم العقل ومعالم نقد العقلانية الفلسفية في فكر طه عبد الرحمن، فجعلتُ **الفصل الأول** لمعالجة مسألة نقد مفهوم العقل في تاريخ الفكر الفلسفي، من خلال مبحثين، جاء المبحث الأول لنقد مفهوم العقل في الفلسفتين القديمة والحديثة، أي العقل عند أرسطو والعقل عند ديكارت، وذلك في مطلبين: جعلتُ المطلب الأول لنقد مفهوم العقل في الفلسفة الأرسطية القديمة، والمطلب الثاني في نقد العقل في الفلسفة الحديثة. وتبعه المبحث الثاني لنقد تبعية الفلسفة العربية للفلسفة الغربية، في مطلبين: اختص المطلب الأول برصد آفات التقليد في مفهوم العقل، والثاني بتحديد خصائص تصور مفهوم العقل عند طه عبد الرحمن.

أما الفصل الثاني، فقد خصصته للتفصيل في القول بمراتب العقلانية، متدرجة من العقلانية المجردة إلى العقلانية العملية، من خلال مبحثين، تحدث المبحث الأول في خصائص العقلانية الفلسفية المجردة، وعن نقدها منطقيا وفلسفيا في المطلب الأول، والاعتراض عليها واقعيا ومقصديا في المطلب الثاني. أما المبحث الثاني، فتناولت فيه آفاق تكميل العقل ومراتب الفعالية العقلية، ليتولى مطلبه الأول آفاق تكميل العقل المجرد، ويتولى المطلب الثاني إبراز مراتب الفعالية العقلية وطرائق التعقل.

أما الفصل الثالث، فعنوانه: العقل والأخلاق أو من العقلانية إلى الأخلاقية، وينقسم إلى مبحثين: المبحث الأول في نقد التصورات الأخلاقية الدهرانية، عبر مطلبين: المطلب الأول في نقد التصور الكانطي لمفهوم الأخلاق، وتأسيسه الأخلاق على العقل، والمطلب الثاني في إثبات اتصال العقل بالأخلاق وتأسيسه عليها، بينما تولى المبحث الثاني الحديث عن خصائص النظرية الأخلاقية الإسلامية في نظر طه، فبيَّن المطلب الأول أسبقية صفة الأخلاقية على صفة العقلانية، وفي مطلب ثان تم التطرق إلى مسألة التأسيس الديني للأخلاق، أو تأسيس الأخلاق على الدين كما يراها صاحب «سؤال الأخلاق».

أما الفصول الثلاثة المتبقية، والتي تندرج ضمن الباب الثاني من البحث، فقد انتقلت فيها إلى تفاصيل الفلسفة الائتمانية والنقد الائتماني للعقلانية العلمانية، من خلال تتبع التطبيقات والنماذج التي اشتغل بها طه عبد الرحمن في مؤلفاته، فجعلت موضوع **الفصل الرابع** في العقلانية الائتمانية ونقد العقلانية العلمانية، من خلال مبحثين؛ المبحث الأول،

يستشكل علاقة الدين بالسياسة عموما، من خلال مطلبين: الأول منهما يناقش جدلية الديني والسياسي ونقد طه لمسلمات العقل في الفكر العلماني، والثاني منهما يوضح خصوصية العقلانية الائتمانية بين دعوى الديانيين ودعوى العلمانيين. أما المبحث الثاني، والذي عنونته بـ»روح الحداثة ونقد عقلانية التحديث»، فقد عالج مسألة الحداثة في فكر طه عبد الرحمن، في مطلب أول يختص بنقد عقل الحداثة ونقد عقل التقليد، وآخر يعالج قضية الحداثة بين وحدة الروح وتعددية الصُّوَر الممكنة من حيث التطبيق.

أما الفصل الخامس، فقد اعتنى بنقد نماذج من العقلانية الدهرانية، في مبحثين: المبحث الأول اختص بنقد العقلانية الائتمانية لنماذج بؤس الدهرانية، فكان المطلب الأول لنقد الصيغة الطبيعية للأنموذج الدهراني مع جون جاك روسو، واختص المطلب الثاني بنقد الصيغة الناسوتية للأنموذج الدهراني مع لوك فيري. بينما اهتم المبحث الثاني بنقد العقلانية الائتمانية لشرود ما بعد الدهرانية، من خلال نقد نموذج التحليل النفسي، حيث نظر المطلب الأول منه في إنكار نظرية التحليل النفسي للشاهدية الإلهية، ونظر المطلب الثاني في المقارنة بين شاهدية الإله وشاهدية الأب عند سيغموند فرويد.

أما الفصل السادس والأخير، فقد أفردته لتطبيقات العقلانية الائتمانية في نبذ العنف ورعاية المشترك الإنساني، وجاء المبحث الأول منه في معارضة الفلسفة الائتمانية لأخلاق العنف، موزعا على مطلبين: المطلب الأول في مساءلة الفلسفة لعقل الشخص العنيف، والمطلب الثاني للمقارنة بين إخلال العنيف بمقتضى الجهاد وإخلاله بمقتضى المجاهدة. بينما اعتنى المبحث الثاني برعاية العقلانية الائتمانية للمشترك الإنساني، وقسمته إلى مطلبين: أحدهما في مفهوم المشترك الفلسفي، والثاني في مقومات هذا المشترك الفلسفي، والنقد الائتماني لدعواه.